نظر محمد إلى الأديان

للاستاذ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

كان ما تسرب إلى بلاد العرب من اليهودية والنصرانية قبل الإسلام قد نضحت عليه الوثنية الضاربة هناك يومئذ أطنابها ، ولم يكن المجوس والصابئة أهل توحيد خالص و إن ألحقوا بأهل الكتاب

قال الشافعي : بعثه والناس صنفان :

أحدهما أهل كتاب بدلوا من أحكامه وكفروا بالله فافتعلوا كذباً صاغوه بألسنتهم فخاطوه بحق الله الذى أنزل إليهم ، فذكر تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من كفرهم فقال :

« و إن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »[1]

ثم قال عز ذكره :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »[2]

وقال تبارك وتعالى :

« وقالتْ اليهودُ عزيرٌ ابنُ اللهِ ، وقالتْ النصارَى المسيحُ ابنُ اللهِ ، ذلكَ قولهمْ بأفواههمْ يضاهئونَ قولَ الذينَ كفرُوا منْ قبلُ قاتلهمُ اللهُ أنَّى يؤفكونَ ؛ اتخذُوا أحبارهمْ ورهبانهمْ أرباباً منْ دونِ اللهِ والمسيحَ ابنَ مريمَ وما أمرُوا إلاّ ليعبدُوا إلهًا واحداً لا إلهَ إلاّ هوَ سبحانهُ عمَّا يشركونَ »[3] . وقال تبارك وتعالى :

« ألمْ ترَ إلى الذين أوتُوا نصيباً منَ الكتابِ يؤمنونَ بالجبتِ والطاغوتِ ويقولونَ للذينَ كفرُوا : هؤلاءِ أهدَى منَ الذينَ آمنُوا سبيلاً ، أولئكَ الذينَ لعنهمُ اللهُ ومنْ يلعنِ اللهُ فلن تجدَ له نصيراً »[1]

وصنف كفروا بالله فابتدعوا ما لم يأذن به الله ونصبوا بأيديهم حجارة وخشباً وصوراً استحسنوها ، ونبزوا أسماء افتعلوه ودعوها آلهة عبدوها ، فإذا استحسنوا غير ما عبدوا منها ألقوه ونصبوا بأيديهم غيره فعبدوه ، فأولئك « العرب »

وسكت طائفة من العجم سبيلهم فى هذا وفى عباد ما استحسنوا من حوت ودابة ونجم ونار وغيره ، فذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم جواباً من جواب بعض من عبد غيره من هذ الصنف فحكى جل ثناؤه عنهم قولهم : « إنَّا وجدنَا آباءنا على أمةٍ و إنَّا على آثارهمْ مقتدونَ[2] » وحكى تبارك وتعالى عنهم أنهم قالوا : « لا تذرُنَّ آلهتكمْ ولاَ تذرنَّ ودًّا ولا سواعا ، ولا يغوثَ ويعوقَ ونسراً وقد أضلُّوا كثيرًا[3] » (كتاب الرسالة ص ٢ — ٣)

و بين من كلام الشافعى أن الأديان التى كانت تظل بلاد العرب وما والاها عند ظهور الاسلام كانت ما بين دين وثنى يقوم على الشرك من أساسه ، وما بين أديان تقوم على الوحى الذى لا يأتى بغير التوحيد ، لكنها انحرفت عن سبيل الوحى فأصابها شوب من الشرك

وكان محمد صلوات الله وسلامه عليه يدعو الناس كافة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، لا يميز فى هذه الدعوة بين مشركين وأهل كتاب

و إذا كان القرآن ينادى :

« قل يا أهلَ الكتابِ تعالَوْا إلَى كلمةٍ سواءٍ بيننَا و بينكمْ ألاَّ نعبدَ إلاَّ اللهَ ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضُنَا بعضاً أرباباً

(١) سورة ٣ آل عمران مدنية آية ٧٨
(٢) سورة ٢ البقرة مدنية آية ٧٩
(٣) سورة ٩ التوبة مدنية آية ٣٠ — ٣١

(١) سورة ٤ النساء مدنية آية ٥١ — ٥٢
(٢) سورة ٤٣ الزخرف مكية آية ٢٣
(٣) سورة ٧١ نوح مكية آية ٢٣

دون الله ، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون[1] »

فإن القرآن يقول أيضاً :

« إنَّ الذينَ آمنوا والذين هادُوا والنصارَى والصابئينَ من آمنَ بالله واليوم الآخرِ وعملَ صالحاً فلهمْ أجرُهمْ عندَ ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنونَ[2] »

لا تختلف دعوة محمد حين توجّه إلى أهل الشرك الصراح من وثنيّ العرب ، أو إلى أهل الكتاب بلا نزاع من اليهود والنصارى ، أو إلى من يشتبه أمرهم و يختلط الرأى فيهم من الصابئة والمجوس

دعوة محمد إلى كل أولئك هى الدعوة إلى الدين الحق الواحد الذى لا يتغير بتغير الأنبياء والذى هو هدى أبداً

ولما كان دين الحق واحداً أوحاه الله إلى جميع أنبيائه و بينه فى كل كتبه المنزلة فقد كان من الطبيعى أن يعتبر محمد أتباع الوحى ممن لهم كتاب أو شبهة كتاب أدنى إلى دعوته و إن حرفوا فى دينهم ، وأرجى أن يثوبوا إلى ما فى أصول ملتهم من اخلاص العقيدة لله وحده

من أجل هذا اختلف حكم الاسلام فى بعض المعاملات بين المشركين وأهل الكتاب ، فالمشركون لا تؤكل ذبائحهم ولا يتزوج المسلم منهم ، و إذا غلبهم المسلمون فى الجهاد لم يأخذوا منهم جزية ولم يكن لهم سبيل إلا أن يخرجوا من شركهم الى حظيرة التوحيد

أما أهل الكتاب فتؤكل ذبائحهم و يتزوج المسلمون منهم ، و إذا هزموا فى الحرب واستولى المسلمون على ديارهم فللمسلمين أن يأخذوا منهم الجزية ليحموهم مما يحمون منه أنفسهم وأموالهم ثم يتركوهم فى دينهم أحرارا

ولا خلاف بين المسلمين فى أن اليهود والنصارى أهل كتاب ، وأن وثنيّ العرب فى الجاهلية مشركون

واختلفت الروايات والأقاويل فى حكم الصابئة والمجوس هل يلحقون بأهل الكتاب أم يلحقون بالمشركين

ولا شك أن ما عرف من أديان البشر بعد ذلك مما لم يكن معروفاً للعرب ، فيه للرأى والاجتهاد مجال من جهة إلحاقه بالشرك أو بأديان أهل الكتاب

وجملة القول أن محمداً يرى التوحيد دين الله الحق ، وفطرة الله التى فطر الناس عليها ، فالمشركون عبدة الأوثان منحرفون عن فطرة الله ، ضلون عن صراطه المستقيم ، ومن عداهم قريبون من الإسلام الذى جمع الرسول صلوات الله وسلامه عليه جوهره فى قوله لمن سأله عنه : « قل آمنت بالله ثم استقم »

مصطفى عبد الرازق

(١) سورة ٣ آل عمران مدنية آية ٦٤

(٢) سورة ٢ البقرة مدنية آية ٦٢

معجم الشعراء للمرزبانى

أجمع كتاب فى تراجم الشعراء الجاهليين والاسلاميين وبعض المحدثين ، ومعه المؤتلف والمختلف للشعراء للآمدى .

٥٦٠ صفحة بثلاثين قرشاً من الورق الأبيض وعشرين من الأحمر

يطلب من مكتبة القدسى بباب الخلق بحارة الجداوى بدرب سعاده بالقاهرة